(الطغيان فى الأرض)

الحمد لله رب العالمين يعِزُّ مَن يشَاء وَيذِلُّ مَن يشَاء بِيَدِه الْخَيْرُ وهو عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لاإله غيره ولامعبود سواه..... ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل:(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا .....) اللهم صل وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

قال تعالى : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ)

• فلقد أصبحنا فى زمن تعددت فيه مصادر الأخبار وتنوعت ، فهناك الأخبار : العلمية ، والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية ، والقانونية ، والرياضية ، وغيرها وهذه الأخبار أصبحت عند معظم الناس تقريبا لما يسمعونه ويرونه على الفضائيات ، والشيخ واحد من هؤلاء الناس ، فإذا طلب منه التعليق على هذه الأحداث فمن أين يأتى بمعلومات أكثر من التى عند الناس ؟ ولكنى سأتناول الأحداث من واقع الأسباب التى أدت إليها لعل من أهمها : الطغيان وهو : تسلط القادة على الشعوب ، واستئثارهم بالخير دون غيرهم ، وسلبهم الحريات التى وهبهم الله إياها ، لذلك جاء التوجيه القرآني للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بقوله تعالى :

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) فالطغيان معشر المسلمين من أعظم أسباب هلاك الإنسان وهوانه عند ربه ، فهذه الأرض خلقها ربها لخلقه ، وأصلحها لأهلها ، ولكن يأبى الإنسان الظلوم الجهول إلا أن يفسدها بمعصية الله من كفر ، وشرك ، وظلم ، وفسق ، وغير ذلك من المعاصي ، ولقد قصّ الله علينا خبر من طغى من بني الإنسان ونقل لنا شيئًا من أقوالهم ، فوُجد من بني الإنسان من قال : (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) ومن قال : (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) ومن قال : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) ومن قال : (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) ومن قال : (إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ) ولم ينته طغيان الإنسان بالأقوال عند هذا ، بل استمر الطغيان مع بني الإنسان حتى مع عصرنا هذا عصر التقدم والرقي فمنا من يقول : الدين أفيون الشعوب ! ومنا من يقول : إن الشريعة غير صالحة لزماننا هذا ! ، ومنا من نادى : بفصل الدين عن الحياة ! ومنا من يقول : إن الشريعة قيدت حرية المرأة ! وأقوال كثيرة ، فكما قلنا مرات ليس فى التاريخ صفحة جديدة ، والقرآن الكريم حين يقص علينا أخبار الذين طغوا فى الأرض لايقصها للتسلية ، ولكن لنأخذ العبرة والعظة منهم لأنهم موجودون فى كل زمان ومكان وإذا قارنا بين طاغية من الصدر الأول ، وبين طغاة هذا العصر لوجدنا الصورة منطبقة تماما فهذا هو فرعون الذى وردت قصته في سبع وعشرين سورة من القرآن الكريم ، كانت نهايته فى الدنيا أن ابتلعه طوفان ليكون عبرة لكل طاغية بعده ، فلفظه البحر على شاطئه ليراه الناس جيفة لاحراك فيها ثم يخاطبه الله فيقول :

(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)

أما حياته بعد موته فى البرزخ ، وفى يوم القيامة فهي ماقال الله فيه وفى قومه :

(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)

<u>فمن ملامح هذا الطغيان :</u> العلو والتكبر في الأرض ، قال سبحانه : (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ) وقال : (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ملك الملوك ، وصاحب العظمة ، وصاحب الجلالة .

<u>ومن ملامح هذا الطغيان :</u> مباهاته لنفسه واحتقاره للآخرين فقال عن موسى : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ) وهكذا يصنع طغاة اليوم عندما يصفون الشرفاء بالإرهابيين .

<u>ومن ملامح هذا الطغيان :</u> إذلاله لشعبه ، فتهدر الدماء لأتفه الأسباب حين أصدر أوامره بقتل كل مولود ذكر من بنى إسرائيل ، قال سبحانه : (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) وهكذا يصنع طغاة اليوم فى تصفية معارضيهم .

<u>ومن ملامح هذا الطغيان :</u> أكل خيرات البلاد ، وادعاؤه أن ذلك حق له ، وليس لشعبه قال تعالى :

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ)
وهكذا يصنع طغاة اليوم حيث ملكوا القصور والثروات وورثوها للمقربين منهم .

ومن ملامح هذا الطغيان : معاداته للدين وأهله ، يستخدم أشد أنواع التعذيب والتنكيل بمن اتبع دين موسى فتوعدهم بقوله : (فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) وهكذا يصنع طغاة اليوم بالشرفاء فى السجون حتى مات بعضهم بسبب التعذيب .

ومن ملامح هذا الطغيان : إدعاؤه معرفة الحقيقة ، والويل ثم الويل لمن خالف أمره ورأيه ، قال فرعون مفاخرًا ومتعاليًا : (مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ) وهكذا يصنع طغاة اليوم عندما زعموا بأنهم يمارسون الديمقراطية دون غيرهم .

ومن ملامح هذا الطغيان : التشويه الإعلامي للخصوم فحين استجاب من استجاب لدعوة موسى أرسل فرعون أبواقه في الآفاق محذرًا من موسى وأتباعه ، قال تعالى : (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) يصنع ذلك طغاة هذا العصر عندما يرسلون كلابهم الضالة لتحرق المؤسسات ثم يتهمون الشرفاء المناضلين...

ومن ملامح هذا الطغيان : شراء الذمم بالمال ، والإغراء بالوجاهة والمناصب ، قال تعالى :
(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)
وهكذا تصنع طغاة اليوم يقربون إليهم البلطجية ، والشبيحة ، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

ومن ملامح هذا الطغيان : أنه يتغنى بالوطنية قال : (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) ثم هو يحارب أبناء وطنه وشعبه تارة بالقتل ، وتارة بالسجن ، وتارة بالفقر والجوع ، ونشر الفرقة بينهم وصفه الله بقوله تعالى : (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)
وهكذا يصنع طغاة اليوم بسياسة الحزب الواحد .

هذه السياسة الفرعونية ، بقبضتها الحديدية جعلت من فرعون صنمًا مطاعًا ، هذه السياسة وصفها القرآن الكريم بالاستخفاف والإحتقار للشعوب قال تعالى : (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) .

إخوة الإيمان : معاداة الدين معركة محسومة لأهل الإيمان يقول تعالى : (كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) ويقول صلى الله عليه وسلم : (لن يشاد الدين أحد إلا غلبه) فمهما طال ليل الظلم ، فإن صبح العدل والحرية سيعم الآفاق إن شاء الله ، وكما يكون الطغيان في المُلك ، يكون الطغيان في جمع المال حين لايُؤدى فيه الزكاة قال تعالى : (كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) وكذلك فى الأقوال : كالتوعد ، وشهادة الزور وفى الأفعال : كأكل أموال الناس بالباطل ، وقس على ذلك صورا كثيرة من الحياة ، فإيثار الحياة الدنيا والرضا بها ، ونسيان الآخرة والتغافل عنها نوع من الطغيان قال تعالى :
(فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى)

عباد الله : إذا نزلت العبر والعظات والآيات فلم تتعظ لها القلوب ، فهذا دليل على الطغيان قال تعالى :
(وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا)

فاتقوا الله عباد الله واحذروا من الطغيان وصوره ، فهو داء يبغضه الله ، وقد توعد الله أهله بأشد الوعيد قال تعالى : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا) ، ويكفي الطغيان شؤمًا وبلاءً أن العباد والشجر والدواب تتأذى من أفعال الطغاة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
(العبد الفاجر يستريح منه العباد والشجر والدواب)
وعنه صلى الله عليه وسلم قال :
(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)

فـمن ملامح هذا الطغيان :

العلو والتكبر في الأرض ، مباهاته لنفسه واحتقاره للآخرين ، استرخاصه للدماء وإذلاله لشعبه ، أكل خيرات البلاد معاداته للدين وأهله ، إدعاؤه معرفة الحقيقة ، التشويه الإعلامي للخصوم ، شراء الذمم بالمال والإغراء بالوجاهة والمناصب ، أنه يتغنى بالوطنية ، هذه السياسة الحديدية جعلت من فرعون مطاعًا طاعة عمياء ، معاداة الدين معركة محسومة لأهل الإيمان ، وكما يكون الطغيان في المُلك... فإيثارالحياة الدنيا ونسيان الآخرة من الطغيان ، إذا نزلت العبر والعظات... (وَنُخَوِّفُهُمْ...) ، الطغاة ليس لهم فى الآخرة إلا هنم : (إن جهنم كانت مرصادا...) ، إذا مات الطاغية استراحت منه المخلوقات للحديث....